تمظهرات الأنساق الدلالية في نصوص أدب الأمثولة
نصوص كليلة ودمنة أنموذجا

Manifestations of Semantic Patterns in the Texts of Para ble Literature: A Case Study of the Texts of Kalila wa Dimna

ط. د ـ العطرة الوشعي
أ.د. نبيل مزوار

قسم اللغة والأدب العربي ـ جامعة الوادي ـ الجزائر

louachailatra@gmail.com

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده . جامعة الوادي

تاريخ الإيداع: 2020/10/07 تاريخ القبول: 2021/11/18 تاريخ القبول: 2022/03/15

ملخص:

أدب الأمثولة أو الحكي على لسان الحيوان خطاب إبداعي ينجزه مُرسل معتمداً في ذلك على قواعد وآليات مخصوصة لتحقيق غايات مختلفة وفق خلفيات ثقافية معينة تعزز فكرة العقد بين ثالوث العملية الإبداعية المرسل ،المتلقي ،النص قصد تجلية المعني فهل استطاع هذا اللون من الأدب الكشف عن خبايا الحياة الإنسانية بكل اتجاهاتها وأهم تفاصيلها؟ ووجوداً شاملاً تصنعه الثقافة في الذهن الاجتماعي، وقد تعرض نص الأمثولة لمجتمع السلطة بكل تناقضاته مواكباً لمستجداته وقضايا العصر وقد جاءت تلك النصوص مشحونة بحمولة معرفية خصبة تنتج أنساقاً دلالية مختلفة بعيدة المرمي، تسعي لتحقيق الحكمة والموعظة والتنشئة الحسنة والسعادة والتوازن النفسي للإنسانية.

الكلمات المفتاحية: أدب الأمثولة؛ الأنساق الدلالية؛ الدلالة النسقية؛ المرسل؛ المتلقي.

***Abstract*:**

Parable literature or storytelling on the tongue of animal is hot creative speech that is based by the praise ,in which is rugged and rugged and special dishes magic :the sender , relying on special rules and mechanism in order to achieve different goals according to specific cultural background That reinforce that idea of the contract between the trinity of the creative text to clarify the meaning .was this colour or kind of literature able to reveal the mysteries of human life in all its direction and the comprehensive existence mind and the text of example was exposed to the authority community in all its contradictions. Keeping in all pace with its

developments and issues of the times . These text came loaded with a fertile cognitive load that produce different far-reaching semantic patterns that seek to achieve wisdom, exhortation , happiness and psychological balance.

Keywords: Parable Literature; Semantic Layouts; Modular Significance; Sender; Receiver؛

تمهيد:

استمد أدب الأمثولة تجربته الفنية من وعي الإنسان بالحياة ومن سلوك الحيوان فيها على نحو متظافر خدمة للمعني رغم ما بين عالم الإنسان وعالم الحيوان من اختلافات في المنطلقات والغايات، فكيف كان تبادل الصلات بين العالمين؟

1- علاقة السلوك الإنساني بالحيواني:

انطلاقاً من مقولة: "الإنسان حيوان ناطق " تحملنا على ادرك حجم العلاقة الوطيدة بين الإنسان والحيوان، و يُثبت ذلك في قول أبو حيان التوحيدي: « أصناف الحيوان الكثيرة مؤتلفة في نوع من الإنسان، وذلك أن الإنسان صفوا الجنس الذي هو الحيوان نور النوع الذي هو الإنسان .»[1]

ويؤكد التشابه في سلوك الإنسان بالحيوان فكرة الاشتراك في الصفات، إذا لم يكن كذلك فمن قبيل التأثر بالتجارب السلوكية للحيوان. ولعل أول محطة تستوقفنا من خلال هاته العلاقة الوطيدة بينهما، هو صورة بداية الخليقة حينما قام قابيل بقتل أخيه هابيل عندها كان الدرس الأول من الغراب ويشاء القدر أن يتتلمذ الإنسان على يد الحيوان ويفقهه كيفية التعامل مع جسد فارق الحياة، ويبرز جليا في قوله تعالى: « **فَبعثَ الله غُرَاباً يبحثُ في الأرض ليُريه كَيْفَ يُواري سَوْءَةَ أَخيه قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعجزْتُ أَنْ أَكُونَ مثْلَ هَذَا اَلْغُرابَ فَأُوَاري سَوْءَةَ أَخي فَأَصْبَحَ منَ اَلنَّدمينَ»**[2]

ولإبراز التلاحم بينهما صور ذلك في شعره ونثره تصويراً دقيقاً أتاح لنا التأمل في عالمه العجيب، التسلل إلى نفسيته لسماع مشاعره، ثم أن الاختلاط بين الإنسان والحيوان هيأ للإنسان سبيل التعرف على حياة الحيوان وسلوكه وطباعه، فاستخدمه وتوسل به كوسيط في أشعاره وحكاياته وأمثاله، وعلى أساس هذا الترابط بيّن الجاحظ في باب معرفة الحيوان «وقل ما سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء و المتكلمة إلا ونحن قد وجدناه أو قريباً منه في أشعار العرب والأعراب.»[3] و على غرار الشعر كثُرت أمثال العرب فيه «إنما كانت العرب أكثر أمثالها مضروبة بالبهائم، فلا يكادون يذمون أو يمدحون إلا بذلك لأنهم جعلوا مساكنهم بين السباع والأحناش والحشرات فاستعملوا التمثيل بها لذلك.»[4] إذا أردنا مثالا لبيان حكمة الحيوان وصواب رأيه وإحساسه وفهمه،فالكلبُ خير مثال تتجلى فيه كثير من الصفات التي يعرى منها عديد البشر في تصرفاتهم وأحاسيسهم « ونحن نعلم أن أدق الناس حساً وأرقهم ذهناً وأحضرهم فهماً...لو رام الشيء الذي يحسنه الكلب في كثير من حالات الكلب لظهر له... ولا على

مبلغ عقله و تفكيره »[5] والغريب أن لبعض الحيوانات فهم وإدراك وحسن تصرف فيه من المنافع وتحقيق المصالح ما يعزب عن كثير من أولى النهي القيام به. كما أن حاجة الإنسان للحيوان عمقت معرفتنا بهذا الأخير إذا استعان الإنسان بقوته في النقل وفي حمل أثقاله كما استعان به في حروبه وغزواته وفي تحقيق أمنه الغذائي بما أمده الله به من الطعام والشراب، فتبوأ بذلك مكانة مرموقة عنده قال تعالى:« **أَنَّا خَلَقَنَا لَهُم مِّمَّا عَملَتَ أَيدينَا أَنعاماً فَهُمْ لَهَا مَالكُونَ وَذَلَّلْنَاها لَهُمْ فَمنْها رَكُوبُهمْ وَمنْهَا يَأكُلُونَ وَلَهُمْ فيهَا مَنَافعُ وَمَا شَاربُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ.**»[6] فلسائر الحيوانات فهم وإدراك وتصرف في منافعها واهتداء في مصالحها وفي الاستفادة من مظاهر سلوك الحيوان ورصد بعض عاداته يقول التوحيدي « خذ من الحمار شكره وصبره، ومن الكلب نصحه لأهله و من الغراب كتمانه لفساده»[7] ولم تكن هذه الصلة وليدة الفراغ بل كانت مستمدة من جذور أنثروبولوجية تشد وجود الإنسان إلى وجود الحيوان، ومن صور تلك الاستفادة أن تعلم منه كيفية الادخار وساعده في سياسة التخطيط للمستقبل « وأجناس من الحيوان تدخر وتشبه في ذلك الإنسان ذي العقل والرؤية وصاحب النظر في العواقب والتفكير في الأمور مثل الذر والنمل والفأر والجرذان والنحل »[8] كما يوجد سلوكات إنسانية تنطبق على الحيوان كالغيرة والشر والخير والشك والسعادة وتبادل المعلومات، فالعلاقة بينهما في جل مناحي الحياة هي علاقة تأثير وتأثر بشتي الصور المادية والمعنوية. مصداقا للمثل القائل:"الحيوان في الكون مثل الماء ".

فأدب الأمثولة: « فن يُسرد على لسان الحيوان أو الطير أو النبات أو الجماد مع الاحتفاظ فيها بحيوانيته يُطبق فيها مثل سابق، ولا يقتصر دور البطولة فيها على الحيوان وحده، بل يقوم بدور البطولة الطير والنبات والجماد، وإنما نُسبت إلى الحيوان لأن موضعه فيها أبين من غيره»[9] فهي نوع من الفن الرمزي تعالج فيه الأفكار الفلسفية لتوضيح فكرة الأقناع بعد الكشف عن خباياها و أهم تداعياتها، باعتبارها نسقاً رمزياً يضم قيمة وبعداً ما يجعلنا نتسأل عن مقاصدها. و بعبارة أخرى فهي نموذج للكشف عن العلاقات الإنسانية وعن العالم.. و هي " فن من فنون النثر العربي القديم المعروفة في التراث القصصي، إذ لم يخل منها عصر، فضلاً عن **كونها** فناً كونياً عرفته كل الثقافات عبر التاريخ، واختلفت في تسميته حيث عرف هذا الجنس بتسميات متعددة كالمثل أو الأمثولة أو الحكاية المثلية أو الخرافة أو القصة على لسان الحيوان أو رواية الحيوان»[10] وقد وُسمت بأدب المثقف أو الأدب الرفيع، أو أدب النمذجة، فلا تخرج عن كونها فناً حكائياً داله الحيوان ومدلوله الإنسان. بوصفه مرآة عاكسة لكل الأوضاع الحياتية، وقد حقق ذلك عبر عدة وظائف منها:

- **الوظيفة السياسية:** تُعد قناعاً مناسباً لنقد الواقع وكشف ممارسات السلطة وفسادها، فهي تقوم السلوك السياسي للراعي والرعية[11]. فوصفها القدماء ضمن علم تدبير الملك فظاهرها لهو وباطنها حكمة.

- **الوظيفة التربوية(التعليمية)**: تستهدف الإصلاح الاجتماعي والتوجيه الاخلاقي وتأكيد القيم والمبادئ والمُثل العليا، وتنزع إلى كشف الطباع على المستويين الفردي والجمعي معا فضلاً عن الغاية التعليمية الصرفة التي يتوسل بها في نقل التجربة الإنسانية للأجيال، ونشر المعرفة العقلية.
- **الوظيفة الجمالية**: بوصف الأمثولة أدب هجين بين الحجاج و القص، تقوم على ثنائيتي (الأقناع والتأثير) لتكون أدعى لتقبل المتلقي، عبر سياقات الفكاهة والسخرية والمبالغة و انطاق ما لا ينطق متوخية إدهاشه واشباع مخيلته واستفزاز عقله للتفكير، في عالم خيالي ممتع ومُشوق بعيداً عن الوصايا والمواعظ المباشرة، وبها يستقيم أدب الأمثولة امتاعاً وإبداعاً.
- **الوظيفة النسقية**: وهي يعني بهاالنقد الثقافي يقول الغذامي:« أن للخطاب الأدبي والشعري تحديداً قيماً نسقية مضمرة تتسبب في التأسيس لنقد ثقافي مهيمن»[12] أي أنها تنتقل من الدلالات الحرفية والضمنية إلى الدلالات النسقية، في نص الأمثولة ضمن سياقاتها المختلفة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والرمزية **كما** يكون للسارد على عاتقه فكرة التنظيم الداخلي لهذا السرد القصص من خلال التنسيق بين تسلسل الأحداث.
- **2- الأنساق الدلالية المفاهيم والإجراءات**:

إن العلاقة بين النسق والنص الأدبي وسياقاته وطيدة ومُتشابكة ومتكاملة، ومن ثم كان مفهومه متضمناً أبعاده وسياقاته الثقافية وكل ما يندرج ضمنها من سياقات وقيم إنسانية ومكوناً بذات الوقت لأسس تلقيه وتأويله وسُبل التفاعل معه فكيف يتسنى لنا فهمه؟ و ما كيفية إنتاجه وتفاعله ليؤدي الوظيفة النسقية؟.

2-1-الأنساق الدلالية: أنها " مجموعة مكونة من رسائل تتحقق بين المرسلين والمتلقين تحتوي هذه الرسائل في طياتها على قواعد استعمالها"[13] تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والاجتماعية والتاريخية والسياسية والاخلاقية والقيم الحضارية والإنسانية، تتم على مستواها دراسة المعاني والعلاقات الدلالية المختلفة، وتبحث في كل المجالات التي تبني المعني بين المرسل والمتلقي؛ أي أنها حركة ديناميكية مُتخمرة تحت غطاء جمالي ومتوسلة به لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة ،وهي دلالات نسقية تبحث في تغيرات المعاني والعلاقات بين المضامين وتحليلها، بل هي إجراء خاص ضارب في التأثير على المبدع والمتلقي معاً في ظل عدم مبالاة من الذات الفاعلة، على أن تلك الخطابات والمعارف نتاجات فكرية ينفرد كل نسق بموضوع خاص يتمثل في مجموع تلك النتاجات المتعددة الاتجاهات تربطها علاقة ما ببعضها بعض لإدراك تشكلات المعني وإنتاج الدلالة، و تجمع بينهم عدة مبادئ وقيم منها النظرية (تهتم بمجال المعرفة) والاجتماعية(في مجال التكافل والتعاون والصداقة) والدينية(تخص النواحي الدينية والمعتقدات) والسياسية(تهتم بالمركز الاجتماعي والسلطة والمثقف) والجمالية(تراعي الشكل والتناسق) أي؛ أنها الوقوف عند المبادئ الكلية المرتبطة والمنتجة للدلالة، إذن فالأنساق الدلالية في نص الأمثولة تبرز على أنها عناصر

واقعية تعكس الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والفلسفية ضمن سياقاتها المختلفة، بالانتقال من الدلالات الحرفية والضمنية إلى الدلالات النسقية.

2- ب-**الدلالة النسقية**: هي "الدلالات المضمرة وليست في الوعي وتحتاج إلى أدوات نقدية مُدققة تأخذ مبدأ النقد الثقافي لكي تكتشفها، ولكي تكتمل منظومة النظر والإجراء"[14]فوجود الدلالة النسقية تصنعه الثقافة، لا وجوداً فردياً يُنتجه مبدع لنصها. وبهذا فأدب الأمثولة يُبني على نسقين أحدهما قصة(تاريخ) والآخر محتوي(سلسلة من الأحداث) إضافة إلى العناصر الأخرى من شخصيات ومفردات .ويتم على مستواها دراسة المعاني والعلاقات الدلالية المختلفة بين المرسل والمتلقي ضمن سياق قصد تأويل مضمونها، فهي تنتقل ما بين اللغة والذهن البشري مهيمنة في الانشغال بالنقد الفني في أعماق الخطابات المختلفة فهي دلالة تجوب الفضاء الذهني للقارئ ذات بعد نقدي ثقافي.

2-ج-**إنتاج الأنساق الدلالية لأدب الأمثولة و النموذج الإنساني**:

إن صناعة هذه الأنساق الدلالية في الحكاية على لسان الحيوان مرتبط بعملية الحكي في نصوصها لا يسعه عالم الحيوانات فقط، بل يمتد إلى عالم الإنسان باعتبارها انساقا حاملة للدلالة الخارجية لنص الأمثولة، وفق أبعادها الخطابية اللغوية والاجتماعية مع مراعاة مكان وزمان التلفظ الخطابي بما في ذلك سلطة المتلقي فشرط إنتاجها مرهون بشخصية المبدع " أنها طريقة في البحث تعمل على تحديد المجال الثقافي المعرفي الذي انبنى على أساسه الواقع الاجتماعي والفكري"[15]و مع أنها بهذا المفهوم تعتبر ضعيفة لكنها مرغوب فيها في الثقافة العربية، ثم أن الملوك والأمراء والسادة قديما يجنحون إلى كل العمليات التي تجعلهم يحافظون على مقاليد سلطتهم، فهناك العديد من الأمثولات التي حققت صورة ما لأصحابها، وهو ما يمنح بعضهم الثقة في ذاته وفي محيطه الاجتماعي، لكن "حضور هذه الأمثولات "يستوجب الوعي بالظواهر الثقافية كالتصورات التي أراد الملك معرفتها، إنها الرؤية الكلية التي تنجز سيرورة البُني الفوقية"[16] فتُبني صور تلك الأمثولات وفق النسق الإنساني مقابل النسق الحيواني من خلال اسقاط السلوكيات والطبائع والأهواء مجردة من شخصياتها الأصلية، فتتراجع الطبيعة الإنسانية عن مقامها السياقي والمرجعي إلى استعمالها المقنع بحثاً عن دلالاتها المضمرة. ويمثل هذا التصور أمثولات متضمنة من حكايات ألف ليلة وليلة (حكاية الدراج والسلاحف) والتي يتجلى فيها هذا النموذج، فيعتبر المبدع والمتلقي منتجا لهذه الأمثولات زيادة على الدور الذي يقوم به القارئ من تأويل وتفسر لها من خلال ما يعكسه الواقع الثقافي "فالتأويل ليس وليد الذهن البشري، ولكنه نتاج الواقع الذي تُقيم دعائمه القصديات التأويلية، فنحن لا نؤول ما في أنفسنا ولكننا نبدع إحالات جديدة انطلاقاً من الإحالات التي يحددها النص الحيواني ويرسم حدودها، فتدخل القارئ اسهامه الفعلي في إنتاج هذه الأنساق الدلالية الممكنة للنص السردي الحيواني، فيُشير إلى قدرته على ما هو مُتحقق

بصفته بنية نصية مُحددة ومُتكيفة بذاتها، وبين مجموع المعارف والأشياء التي تُسهم في تكوين هذا النص الثقافي العام الذي أُنشئ ضمنه النص المُتحقق."[17]

وبمرور الزمن تحولت هذه النماذج إلى نماذج مرموقة و غدت مقاييس أخلاقية وقيم وأصول تربوية وتقاليد متبعة تنحني أمام تيارات حضارية جديدة وراهنة تصطدم بها رغم تعدد وتباين المستويات الثقافية وصفوة القول: أن الأنساق الدلالية تجمع بين الأنساق النصية و الفكرية.

3- تمظهرات الأنساق الدلالية في نصوص أدب الأمثولة لكليلة ودمنة:

باعتبار نص أدب الأمثولة حادثة ثقافية وليس جنساً أدبياً فحسب، له علاقات دلالية متنوعة تعمل في نوع من التعاون والتبادل قصد إثراء بعض الإمكانيات الدلالية، مُشكلة نسقاً دلالياً شاملاً بكل مستوياته السطحية والعميقة قصد التأويل والتوجيه، فهي إنتاج للتصورات النظرية حول موضوعات العالم الخارجي في الذهن البشري، تتعامل مع نص الأمثولة جمالياً بمثابة(نسق ثقافي)حاملة للعديد من القيم النسقية التي تحمل دلالات مختلفة، تصور الباطل في صورة الحق وهذا ما يوضح الدلالة النسقية التي تتسم بها برمجة الذات الثقافية العربية، فكيف تجلت الأنساق الدلالية في نصوص أمثولات كليلة ودمنة؟ في ظل أبعادها ومرجعياتها السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية والدينية والفلسفية والرمزية؟

3-أ- الأنساق الدلالية السياسية: يُعد النظام السياسي واحداً من أهم النظم التي توجد في كل المجتمعات التقليدية القديمة والحديثة لأن له وظيفة تتحدد من خلالها علاقات أفراد المجتمع من حقوق ووجبات اتجاه السلطة والدفاع عن أفرادها، وتختزل الأمثولات " الأبعاد الفكرية والسياسية التي يحاول السارد بثها في خطابه، انطلاقاً من أن السياسة كتدبير إنساني الأمر الذي يجعل التلميح الحيواني فيها وسيلة للكشف عن الخطاب السياسي الذي يسعى الفيلسوف (المبدع الثقافي) إيصاله إلى الآخر(المتلقي) بشيء من الحيطة والحذر."[18]وتتجسد في علاقة الصراع بين الحاكم والمحكوم (السلطة والمثقف) و السياسة الحربية، وخير نموذج لذلك أمثولات كليلة ودمنة يبرز فيها الجانب السياسي بوضوح (أدب الملوك) فما العلاقة بين السارد والمتلقي؟ و ما أثرهما على العمق السياسي المتبع قديماً وحديثاً؟

3-أ-1-نسق العلاقة بين الحاكم والمحكوم:

الاهتمام المشترك بأمور الإنسان والمجتمع وتضاربهما في النظرة للموضوع واختلاف الوسيلة والغاية منه، فإذا كان الحاكم المرسل إليه (الملك دبشليم) كسلطة وطبقة حاكمة تسعى إلى الاستقرار والاسمرار فإن المحكوم السارد(الفيلسوف بيدبا) كمثقف يسعى إلى التغير والتجديد وجسد ذلك على لسان الحيوان مخافة من الرقابة السلطوية وعدم تجاوز الخطوط الرقابية

الحمراء، في قول الأسد عن الثور شتربه الذي حاول دمنة الكيد منه قال الأسد: « لقد اغلظت في القول، وقول الناصح مقبول محمول وأن غلط وأن كان شتربه معادياً لي ،كما تقول، فإنه لا يستطيع أن يضرني ،ولا أن يفُت في ساعدي، وكيف يقدر على ذلك ،وهو آكل عُشب وأنا آكل لحم؟ وإنما وهو لي طعام وليس علي منه مخافة»[19]جسد الصراع على المناصب السياسية والسلطة في حين مثل دمنة دور المواطن الساعي للسلطة ولو على حساب الآخرين ممثلاً ذلك بإخلال علاقة الوزير(الثور شتربه) بالملك (الأسد) وهما خائنان لبعضهما لهما نظرة استغلالية تصل إلى درجة التحقير والإهانة ، وهذا الصراع تجسيد قائم ودائم على الطبقات السياسية الحقيقية في الحياة اليومية اي؛ التناحر على البقاء القوي يأكل الضعيف وخصوصاً إذا كان صاحب فطنة وذكاء فالشخصيات الحيوانية نموذج مُصغر للمملكة الإنسانية في تحركاتها ورؤاها.

فالطبقة الحاكمة حريصة على امتلاك السلطة وانضباط شعبها، والطبقة المحكوم عليها المحكومة الضعيفة(المثقفة) ترجو وتأمل الحرية في تغير الأوضاع و تناشد الاستقلالية في التفكير، فالسلطة السياسية المستمدة بطبعها لا تنظر بعين الرضا للمثقف لرسوخ فكرتها بأنه صاحبة السلطة الموازية التي لا تُضاهي قوتها وبطشها ماديا ومعنوياً. فالسلطة مركز القوة والمثقف منبع التأثير و النفوذ له سلطة على قلوب الجمهور. فهذا التنافس على مناصب السلطة هو ما يؤكده بيدبا على لسان الأسد: « إن السلطان لا يُقرب الرجال لقرب آبائهم، يُبعدهم لبعدهم، ولكن ينبغي أن ينظر إلى كل رجل بما عنده: لأنه لا شيء أقرب إلى الرجل من جسده ومن جسده ما يدوى حتي يؤذيه ولا يُدفع ذلك عنه إلا بالدواء الذي يأتيه من بعدُ»[20].

3-أ-2-نسق السياسة الحربية: تتجسد هذه السياسة ضمن باب "البوم والغربان" يسعي الحاكم من خلاله إلى إبراز أمور السياسة الخارجية والحرب بين الملوك في تأسيس العلاقة بينهم وبين رعياهم (السياسة الداخلية) واستطلاع أخبار العدو وكيفية التعامل معه بحذر مع اظهار التضرع والتملق ومثاله ما ورد في كتاب كلية ودمنة ضمن "باب البوم والغراب" وقد مثل السارد ذلك بمتناقضين هما (القوة والضعف) فالقوة لمعشر البوم في حين الضعف لمعشر الغربان « فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارهم، فقتل وسبى منها خلقا كَثراً.»[21] فالملك يمثل نموذجاً إيجابياً للسلوك السياسي بين رعيته، إذ جعل من شخصيات وزرائه صور مثالية للسياسي الفطن المحنك فبين للمتلقي ضرورة التعقل واستخدام الحكمة فبالعقل تُحل المشاكل وتُجتاز العقبات فهو يدعو إلى عدم الخضوع والاستسلام للعدو. وبهذا التوجه الضمني السياسي نحو تجبر الملك وحنكته يبين تراكم الآراء و الأفكار على اتقان و صناعة الخطط السياسية الناجحة.

فالانساق الدلالية السياسية في الأمثولات كانت بمثابة دستور تعليمي يسير على نهجه الطامحون للعدالة والمساواة والحق وقد نجح السارد(ابن المقفع) في ادخال الحاضر العربي

الإسلامي على هذه الأمثولات على جميع المستويات من شخوص وأحداث ولغة ودلالة وثقافة الأمم.

3-ب- الأنساق الدلالية الاجتماعية: وهي" بُني قولية ذات دلالة إذ تُحيل على ما هو اجتماعي من داخل بنية النص المتخيلة أو الواقعية"[22]أي؛ ما نتحدث عنه بالجماعات المتكتلة في مجتمع و تتكامل فيه الرؤية الاجتماعية، حيث أن التصور الذي يربط خيوط الحكي في أدب الأمثولة لا يسعه عالم الحيوانات فقط بل، يمتد إلى عالم الإنسان وبالتالي يستفيد من مراحله الأكثر تجرديه، و يتضمن مجموعة من النظم الاجتماعية ذات قواعد سلوكية مسقرة وثابتة تحكم الحركة الإنسانية في ظل جمع من الأفراد الناشطين والمتفاعلين يُبين فيها السارد صورة واضحة عن فاعلية الواقع الاجتماعي العميق بوصفه ناقلاً أميناً

لإسقاطه على الواقع الراهن والسائد في مجتمعاتنا المعاصرة، وتتضمن نسقي الصداقة والتعاون.

3-ب-1-نسق الصداقة: من منطلق " الإخوان هم الأعوان على الخير كله" فموضوع الصداقة فضاء واسع في المجتمع، حيث يتجسد في أمثولات كليلة ودمنة منها " باب الأسد والثور" مثل المتحابتين يقطع بينهما الكذوب المُحتال للوشاية الماكرة، و"باب البوم والغربان" و"باب الحمامة المُطوقة مثل الإخوان المتواصلين بالمودة والمتعاونين في الضيق. فكيف يتصادق اثنان وبينهما تباعد كلي جملة وتفصيلاً؟ و يروي الفيلسوف بيدبا إلى الملك دبشليم أمثولة الصداقة بين الثور والأسد رغم تباعدهما من جميع النواحي (الفصيلة والطبقة والطبيعة) فقد قامت علاقة صداقة بينهما يقول: «ان الأسد قرب شتربه وأكرمه وأنس به و اتمنه على أسراره وشاوره في امره، ولم تزده الأيام إلا عجباً به ورغبة فيه وتقريباً منه حتي صار أخص أصحابه عنده منزلة. فلما رأي دمنة أن الثور قد أختص بالأسد دونه و دون أصحابه وأنه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه، حسده حسداً عظيما وبلغ منه غيظه كل مبلغ»[23].

بالرغم من تناقض الصديقين سياسياً وسلوكياً ودخول الوسيط الخبيث والواشي بينهما، أبي إلا ان يقيموا علاقة الصداقة بينهما وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على حسن السلوك والتعامل الايجابي بينهما الذي يعكس المستوي التربوي والثقافي لكلا الصديقين الحقيقيين.

3-ب-2-نسق التعاون: التعاون صفة حميدة تحبذها الطبيعة الإنسانية جميعا، وتبدو في أمثولة الحمامة المطوقة وكياستها المميزة التي خلصتها من شباك الصياد، لتفطنها لإمر التعاون بين الجماعة لحمل الشرك جميعاً قالت: «لا تخاذلن في المعالجة ولا تكن نفس إحداكن أهم إليها من نفس صاحبتها، ولكن نتعاون جميعا ونقلع الشبكة، فينجو بعضنا ببعض»[24]. فالبنية العميقة لهذه الخصلة الطيبة تبعث الإحساس الوجداني المشترك بين الجماعة في تجاوز

العقبات والمشاكل، وعليه فبالعقل ندرك أهمية التخطيط في الحياة، و كذلك الاستعانة بالأصدقاء كما استعانة الحمامة المطوقة بالجرذ لتخليصها متن الشرك وكان لها ذلك، وما هو إلا تنويه بني البشر للاقتداء بهم علاقات الود والإخاء و فاعلية التعاون الحقيقية بينهم. رغم تناقض النسقين للصديقين إلا أنهما عكسا صورة للحياة الاجتماعية والإنسانية لظفر بصديق يعينه على نائبات الدهر وتنمية الثقة وحسن الظن بين أفراده، فبالصداقة والتعاون على فعل الخير تُبني المجتمعات الصالحة وتتطور الأمم والحضارات حاضراً ومستقبلاً. وتنتج هذه الانساق على مستويين:

- مستوي الدلالات البيئية؛ تمثل أشكال الحياة اليومية وما تنتجه.

- مستوي المجتمع الحضري؛ برمته وأشكاله الثقافية والاجتماعية والقواعد التي تُمليها هذه البيئة. وهذا ما يؤكد حضور السارد متحرك خلسة وبثقله كفاعل جماعي نشط يقوم بإعادة إنتاج البُني السطحية بعقلية حضارية جديدة تهدف لمعالجة الطبقات الاجتماعية في صورة نماذج تحتية كردة فعل لرؤية مستقبلية لترسيخ هذه النظرات الاجتماعية وفق المنظور الراهن للعالم الإنساني.

3- ت- **الأنساق الدلالية الثقافية**: و هي مجموعة من القيم المتوارثة خلف الخطابات والممارسات، تمثل مضمون وحُمولة النص الثقافي. على أنها " واحداً من الأنساق الاجتماعية الظاهرة والمضمرة المترابطة والمنسجمة والمتوارثة من جيل لآخر في ثقافة من الثقافات ذات مرجعيات دلالية خاصة دينية وقيود سياسية وتقاليد و قيم ومعتقدات وهده النظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه."[25] وهذه الأنساق تتواجد مع وجود الإنسان لحظة ولادته وتتواصل معه طول حياته وتزول بزواله، ذات أبعاد تاريخية وثقافية تختلف عن المحيط الذي انتجها، تُضمر دلالات نسقية تؤثر على مستويات الاستقبال الإنساني في الطريقة التي بها نؤول، فهي آلية من آليات الهيمنة النسقية تتحكم في السلوكيات والممارسات الاجتماعية العامة تمتاز بسرعة التأثير في أفراد المجتمع، قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة. فهي أنساق ذات منتوج بشري مرتبط بالوضع الإنساني عبر الزمان والمكان؛ أي انها أنساق مشروطة تاريخياً بتغيرات وطبائع الناس وأحوالهم. تكمن في الكشف عن حُمولاتها. ويتجسد في أمثولة الأسد والأرنب " القائمة على الحوار بينهما: « قال لها: من أين أقبلت؟ قالت: أنا رسول الوحوش إليك، بعثني ومعي أرنب لك، فتبعني أسد في بعض تلك الطريق، فأخذها مني، وقال: أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحش. فقلت: إن هذا غذاء الملك ارسلتني به الوحوش إليه. فلا تغضبنه، فسبك وشتمك فأقبلت مسرعة لأخبرك. فقال الأسد: انطلقي معي فأريني موضع هذا الأسد. فانطلقت الأرنبُ إلى جُب فيه ماء غامر صاف، فاطلعت

فيه، وقالت: هذا المكان فاطلع الأسد، فرأى ظله وظل الأرنب في الماء، فلم يشك في قولها ووثب إليه ليقاتله، فغرق في الجب، فانقلبت الأرنب إلى الوحوش فأعلمتهن صنيعها بالأسد»[26]فقد كشفت نسق سياسي ومررت نسق اجتماعي، فالنسقية الاجتماعية ترسخت في الأرنب بقيمة الذكاء والمكر والخديعة رغم ضعفها وصغر حجمها أمام قوة وجبروت وكبر حجم الأسد ، فنحن أمام نسقين متناقضين(القوة والضعف والغباء والخديعة) فالقوة وحدها لا تكفي ولا تحافظ على حياتك، فالأسد كان يتمتع بالقوة الشديدة ولكنه لم يتمتع بالذكاء الكافي لكي يبقي على قيد الحياة، وبينت قيمة التناحر على البقاء والصراع بين الخير والشر، وبهذه الحيلة انتصارها على الأسد الذي كان يأكل كل يوم حيوان وخلصت بقية الحيوانات من شره بأسقاطه في الجُب، فأن الشر لا يستمر إلى الأبد وعلى الإنسان أن لا يخضع للظلم بل عليه أن يُقاوم ولا يستسلم. فهذا يعكس البنية التحتية للمجتمعات وما هي عليه في الوقت الراهن.

فماهي إلا رؤية نقدية فلسفية جديدة لتجسيد القيم المعرفية والعقلية والإنسانية المثالية.

3- ث - الأنساق الدلالية التاريخية: و هي " أنساق اعتقادية كامنة لها تأثيراتها الخلفية والفكرية تتجسد بحسب أصولهم ونظرتهم للحياة بكل ما فيها"[27] هي راسخة في الذهن البشري منذ بداية الخليقة، كالحلم و الأسطورة.

وتجسد في "باب إيلاد وبلاد و إيراخت" في حكاية قصة الأحلام الثمانية التي رآها الملك وتأويلها "مثل أن الحلم ملاك نظام الملك" يسأل الملك "دبشليم" الفيلسوف "بيدبا" عن الأشياء التي يجب أن يلزم بها نفسه، ويحفظ ملكه، ويثبت سلطانه، ويكون ذلك رأس أمره وملاكه أم بالحلم أم بالمروءة أم بالشجاعة أم بالجود؟ وعن العداوة القائمة بين البراهمة والبوذية.

« قال الفيلسوف: زعموا أنه كان ملك يدعي بلاذ، وكان له وزير يدعي إيلاد وكان متعبدا ناسكا. فنام الملك ذات ليلة، فرأى في منامه ثمانية أحلام أفزعته، فاستيقظ مرعوباً. فدعا البراهمة، وهم النسَّاك ليعبروا رؤياه فلما حضروا بين يديه قص عليهم ما رأى. فقالوا فاجمعهم: لقد رأى الملك عجباً، فإن أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله قال الملك: قد امهلتكم.»[28] ويُعزز ذلك ما رُوي في (حكاية الملك جليعاد والوزير شمَّاس) في البداية فيها "تأويل المفسر(معبر الأحلام)، الحلم الذي رآه الملك جليعاد بأنه سيأتيه غلام وإرث لملكه، ولكنه سيكون جائراً و سيخون العهود، والوزير شماس كان يعلم تفسير هذا الحلم ولكن خوفه من السلطة هو الذي جعله يخفي نصف التأويل مُظهراً الجزء الذي سيسر الملك."[29] و قول الجاحظ في كتابه "الحيوان والاسطورة" في أمثولة الضب والضفدع « وتقول الأعراب: خاصم الضب الضفدع في الظمأ أيهما أصبر، وكان للضفدع ذنب وكان الضب ممسوح الذنب فلما غلبها الضب أخذ ذنبها فخرجا في الكلأ فصبرت الضفدع يوماً ويوماً فنادت: يا ضب ورداً ورداً فقال الضب: (إلا

عراداً عرداً وصلينا ورداً) فلما كان اليوم الثالث نادت: يا ضب ورداً قال: فلما لم يجبها بادرت إلى الماء وأتبعها الضب فأخذ ذنبها»[30] فقد عالج الجاحظ نسقاً تاريخياً في قالب ديني أسطوري فالدلالة النسقية تضمر نمط من أنماط الثقافة البدائية الدينية في طابع سحري من خلال ظواهر طبيعية إنسانية مجسدة في نسق روحي تعبدي يوثر ويتأثر باستعمال قوي غيبية خارقة، ترسخت في فكر مجتمعات عبر العصور ومازالت رواسبها إلى يومنا هذا في بعض المجتمعات باعتبارها أنساق خفية و مُبطنة في منطق اللاوعي البشر. ويفند ذلك ما جاء في أمثولة الثور والحمار وصاحب الزرع في حكايات ألف ليلة وليلة، إذ "يدخل بين الحمار والثور المسرح عنصران آخران هما الكلب والديك اللذان يرثيان إلى حال سيدهما ولقلة عقله وهو الذي فضل الموت إن هو أفشي سرَّه على التفريط في زوجته ، لذلك عمل الديك على تخليص سيده من موت محقق"[31] فالحيوان مثل الدور الأول في دنيا الأحوال الأسطورية لدى الإنسان، فهو بمثابة النسق الفكري المهيمن الذي يوجه القارئ لتلك الاعتقادات، إذ تشير هذه الأمثولة إلى المعتقدات الدينية في سر معرفة منطق ولغة الحيوان وفهمها مثل ما جاء في قصة النبي سليمان و النملة والهدهد وهذاما اكدته الدراسات الحديثة في دراسة لغة الحيوان.

3-ج- الانساق الدلالية الدينية: ظل الجانب الديني يشغل ويساهم إلى حداً كبير في حياتنا الاجتماعية والفكرية والسياسية سيما خبايا المستقبل فكيف ساهمت الانساق الدينية في تربية العقول للعامة والخاصة؟

فهي أنساق تشمل مجموعة من العقائد والأعمال يدين بها كل مجتمع على نحو متباين، يرشد ويحث إلى الخير في السلوك والمعتقدات.

فقد تمظهرت في فضاء الأمثولات الوعظية المبنية على المعتقد الديني كما يتجسد في حكايات كليلة ودمنة في قول ابن المقفع: « ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر، ويعلم ان ما كُتب سوف يكون، وأن من أتي صاحبه بما يكره لنفسه فقد ظلم...ويحب للناس ما يحب لنفسه»[32] كما يعزز ذلك في أمثولة " طير الماء و السلحف" في ألف ليلة وليلة حيث يقتل طير الماء بازا ويعلق السارد بقوله، « ...فبينما طير الماء في أمن وسرور وفرح وحبور إذ ساق القضاء إليه بازا* جائعا فضربه بمخلبة ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الأجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح، قيل أنه كان يقول في تسبيحه سبحان ربنا فيما قدَّر ودبَّر سبحان ربنا فيما أغني وأفقر»[33] فالسارد أراد تذكير المتلقي بأمور دينه في زمن كثُر فيه الظلم والفساد والتيه عن الطريق، فبلورة هذه الأمثولة من أجل السعي نحو ادارك مضمون جديد، يخص عملية التسبيح وهي من أعلى قيم الدين للإنسان النموذجي.

فمن المفارقات والتناقض مشكلة عدم الانتباه والغفلة عن ذكر الله سبحانه وتعالى قولاً وفعلاً ويدعم ذلك قوله تعالي: « **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اَللَه يُسَبحُ لَهُ مَن في اَلسَّمَوات وَالأرض وَاَلَّطيرُ صَافَّات كُلُ قَدْ عَلمَ صَلاَتهُ وَتَسبيحَهُ وَاَللُه عَليمُ بمَا يَفعلُون**»[34] فعلى الرغم من المكانة الكبيرة للدين في مجتمعنا، فسلطته مغيبة على الصعيد السلوكي و المعاملات فعكست هذه الأمثولة الجانب الإيجابي للملك شهريار بفضل وعيه فهي بمثابة منبه وناقوس خطر لنظرة الإنسان القاصرة، إذ منها يرتبط بتجربة شخوص حيوانية جعلته يقتدي بها ويمتثل لتجربتها في الحياة المعاصرة القائمة على التناقض.

فالمرجعية الدينية تُعتبر الحجر الأساس الذي يعتمده السارد في التوجيه التربوي والتعليمي في تأديب وإصلاح أحوال الناس العامة والخاصة.

3-ح- الانساق الدلالية الفلسفية: هي بناء تصورات فكرية ومواقف وقضايا وفرضيات ونظريات (الدين، العلم، الحرية، المساواة والعدالة...) مترابطة ومُنسقة تنسيقاً منطقياً تسعي إلى رسم رؤية خاصة إزاء العالم المعاصر تنطوي المعارف الأنطولوجية ضمن النسق الوجودي الفلسفي للكيان البشري فهي" تداخل مجموعة من البنيات الفكرية والذهنية مع عناصر أخري في إطار وحدة عضوية نسقية كلية إذ يُشكل تفكير الفيلسوف اتجاه الوجود والمعرفة والقيم"[35] وفي هذا الصدد تمثل أمثولاتها حقائق فلسفية معروفة في مجال العدالة والمساواة، فهي من أبرز حقوق الإنسان السلطوية والدينية قديماً وحديثاً، وخير مثال يجسد ذلك أمثولة " الرجل الهارب من الموت" المثبتة لفكرة حتمية القضاء والقدر، فاختار السارد فكرة حتمية الموت موضوعًا لهذه الأمثولة بقوله: « فلما حصل الرجل عندهم و أمن على نفسه من عائلة الذئب رأي على عدوة الوادي بيتاً مفرداً، فقال: أدخل هذا البيت فاستريح فيه. فلما دخله وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل من التجار، وهم يقتسمون ماله؛ ويريدون قتله، فلما رأى الرجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية، فأسند ظهره إلى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والإعياء، إذ سقط الحائط عليه فمات. قال التاجر: صدقت؛ قد بلغني هذا الحديث»[36] فالموت قوة اجبارية لا تقهر بأمر من القوة الإلهية العظمى فأصبح السارد بين نسقين متناقضين في حين كان يظن أن الحائط سنده من حتمية قتله على يد اللصوص فخيب أمله بأنه هو العدو اللدود وكانت نهايته به، إن مراد ابن المقفع هو إثبات أنه لا تعارض بين ما يرويه للمتلقي من قدرة على التدبير واستعمال العقل وإرادة الله المُطلقة ،وفي الرسالة الموجهة إلى ملك الجن بيو راسب" تطلب عدله: «دعوة إلى بني الإنسان فبادروا لعرض شكايتهم بدورهم على الحيوانات(عبيدهم الآبقين) واستدعي الملك البهائم ليسمع ردها... وأخذ كل من الطرفين يعرض، دعاءاته ويبدي دفوعه الواحد تلو الآخر، فإذا نحن أمام محكمة

برئاستها وقضاتها...أما محور النزاع فهو، مسألة حق الإنسان بالسيادة على الحيوانات أم لا، وبالنتيجة صدر الحكم فاصلاً النزاع وذلك باعتبار البشر يتميزون على غيرهم من المخلوقات بالخلود والبقاء.»[37]؛ فالرسالة تقوم على التناقض بين أنساق (الحيوان مقابل الإنسان والعقل مقابل النقل والدنيا مقابل الآخرة) وهي قضايا فلسفية منها ما هو قائم على أدلة قرآنية، وأخرى فلسفية فرضتها طبيعة الفطنة البشرية(العقل) فتوافق المنطق العقلي يعطيها صفة القبول عند المتلقي ليثبت من خلالها سلطته على الحيوان، ومن القيم التي اهتدي بها الإنسان فأصبح صاحب قيادة لقيمة العقل يُرشد السارد إلى ترسيخ معني العدل والمساواة من خلال تنبيه بني البشر ومحاربة الظلم. في قالب مُنتظم ومُنسجم ومُتعارض دلالياً. ويفند ذلك مثل ما حدث "لجلجامش" في البحث عن عشبة الخلود. كما عالج ابن المقفع في كليلة ودمنة مسائل عقلية وفلسفية للتأمل والتفكير، وخير ما يمثل ذلك "باب الفحص في أمر دمنة" في مسألة قتل الثور(شتربه) ورد دمنة على اتهامات الشهود(الخنزير)والقاضي بقوله:« قال القاضي لسيد الخنازير: ...أنك عارف بما في الصور من علامات السوء، ففسر لنا ما تقول: وطلعنا على ما ترى في صورة هذا الشقي، فاخذ سيد الخنازير يذم دمنة، وقال: إن العلماء قد كتبوا وأخبروا، أنه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمني وهي لا تزال تختلج، وكان أنفه مائلاً إلى جنبه الأيمن فهو شقي خبيث، وكان دمنة على هذه الصفة. فلما سمع دمنة ذلك قال: من ههنا تقسمون الكلام وتتركون العلم فأسمعوا مني ما أقوله لكم وتدبروا بعقولكم فقد وعيتم ما قال هذا فإن كان يزعم أن ما في جسمي من هذه العلامات هو الدليل على صدق ما رميت به فإني، اذا أكون قد وسمت بسمات و علامات اضطرتني إلى الإثم فعملت بها ما عملت ففي ذلك براءة لي وعذر مما عملت»[38] فقد استدل دمنة في الدفاع عن نفسه بالمنطق العقلي، وناقشه بمنطق علمي وعقلي في تحسب الأمور واستطاع دحض شهادة الخنزير بل جعلها له لا عليه، استناداً إلى عدالة الله وحكمه لأن العلامات ليست بالضرورة هي الكاشفة عن جرم بني البشر، فهو أفضل ما رُزق به الإنسان و أساس كل تكليف، يضع البناء الأساس للمجتمع، يهدف من خلاله إلى الإصلاح التربوي والاخلاقي للبشرية بقواعد سلوكية وعقلية، وبه تُحل جل المشاكل والعقبات. فالعقل وسيلة وغاية في آن واحد، فهي أنساق دلالية حجاجيه وجدالية وحوارية بامتياز كما تتجلي الآثار الفلسفية لأمم كثيرة منها كاليونانية والفارسية و الهندية.

3-خ -الانساق الدلالية الرمزية: لقد أظهر أدب الأمثولة قدرته على تمثيل المرجعيات الثقافية المتعددة المستويات من الترميز والإيحاء والقدرة على التواصل والإقناع و التأثير، فإلى أي مدي استطاع ابن المقفع ان ينجح فنياً في تسخير الرموز لتشكيل الدلالة النسقية؟؛ فالرمز فيها

« معناه يعرض الكاتب شخصيات وحوادث على حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة و المناظرة بحيث يتبع المرء في قراءتها صور الشخصيات الظاهرة»[39]تمثل أفكار مجردة لأشياء محسوسة و ما على القارئ إلا تأويلها وفق رؤيته وثقافة محيطه، لأنها من إنتاجه ترتبط عادة بمغزي أخلاقي تعليمي تربوي تجريدي انفعالي فقده الإنسان، تختزل في تقاليد وتجارب مجتمعها.تتخذ شخصيات حيوانية طبيعية تنطق بصوتها لها منطق وقادرة على التعبير عن نفسها كالآدميين، تعكس الواقع الإنساني بنماذجه وطبائعه البشرية المتناقضة في شتي مجالات الحياة. فهي مجرد إيحاء إلى عوالم تنكرية يشتغل فيها النسق الرمزي بكثافة، ويؤكد ذلك ما قاله الفيلسوف بيدبا في هذا الشأن: « أني قد استعذبت كلامك وحسن موقعه من قلبي، وأنا ناظر في الذي أشرت به وعامل عليه، ثم أمر بقيوده ففكت ولقى عليه من لباس الملك وتلقاه بالقبول»[40] فالنسق الرمزي يظهر في التناقض بين ما يخفي بيدبا من جمال لم يتقبله الملك دبشليم. بل رؤية عميقة تتطابق مع البناء الفكري للسارد، واستراتيجية تصونه من تبعة الكلام الذي جاء ضمنها، فأمثولات كليلة ودمنة مشحونة بدلالات رمزية و سلوكات ومواقف ترسم صراعات الحياة وتحفز القارئ، حتي يُشارك عملية الأبداع بالقراءة الواعية والمنتجة للتأويل، واللجوء إلى استنطاق الحيوان لدليل على فقدان الحرية وتفشي الظلم والقهر على الرعية فبالرمز يُعفي من مواجهة مسؤولية الواقع وذلك لترسيخ القيمة الأخلاقية والتعليمة، وهو يتحرك بحرية كاملة بين طبيعته الحسية وتركيبته التجريدية داخل نص الأمثولة، فباستخدامه يُشحن بطاقة إيحائية جديدة تدرك هذا التحول الدلالي، فالتوسط بها في رحاب البوتقة الأدبية تنّم على المكانة المرموقة لتطور الفكري و الثقافي للسارد. يتم من خلالها تمرير الانساق الرمزية تحكيماً وتوجيهاً وجمالية، خوفاً من الرقابة السلطوية حيث الشخصيات الحيوانية فيها لا تهتم بحدود أو ملامح و أنما كتجسيد للنوع كالقوة للأسد والمكر والخداع للثعلب تمثيلاً للسلوك و المواقف للنموذج الإنساني من خلال الاستبدال و التخفي.

فالحيوان في كليلة ودمنة يمثل عنصراً فاعلاً ورمزاً إيحائياً ودلالياً بلا مُنازع، يُصور مشاهد الصراعات المختلفة بين بني البشر. فهي إعادة تشكيل واكتشاف للعلاقات الإنسانية والهُويات و الجمع بين عناصرها المتناقضة والمتفرقة، في نسق واحد، يظل المبدع يُكابد لكي لا يظل أسيراً لها 3- خ-1- **نسق آ كلات اللحوم**: وهي حيوانات تستمد غذائها الأساس من أنسجة الحيوانات أو من خلال الافتراس أو أكل الجيف وتضم : الثعلب ، الأسد، ابن آوى، الذئب ،البوم ،الغراب.....الخ، حيث تجمع بينهم صفة الغذاء وتضعهم في نسق رمزي دلالي واحد.

- **الثعلب**: لُقب عند العرب قديماً بأبي معاوية المشهور بالحكمة والدهاء والخديعة وحسن ذكائه ومراوغته فالتصق به رمز المكر والخداع والأنانية منذ القدم «تلك الشخصية التي

تملك القدرة ومن موقع القوة على إرهاب الآخرين، وتعريض أمنهم وحياتهم للمخاطر»[41] ويتجلى في "باب الأسد والثور" مثل الثعلب والطبل.

- **الأسد**: يرمز إلى صاحب السلطة بكل مراتبها(أمير، حاكم، ملك) بصفته ملك الغابة والحيوانات البرية كلها بامتلاكه القوة والقدرة الطبيعية، المتعجل المفتقد للمعرفة والحكمة. ويتجسد في "باب الأسد والثور" بمثل الأرنب و الأسد.

- **ابن آوى**: رمزاً لذوي السلطة والنفوذ والقوة لقهر وإيذاء الطبقة الضعيفة، يُجيد تقمص الناسك في خدمة الملك رمزاً للأخوين كليلة ودمنة في الخصال الذميمة وفعل الشر. نلمحها في "باب القرد والغليم" يمثل ابن آوى والأسد والجمل.

3-خ-2- **نسق آكلات الأعشاب**: وهي حيوانات مُتكيفة مع أكل الطعام ذا الأصل النباتي، منها الثور والأرنب، الجمل...الخ

- **الثور**: يرمز للإنسان المُسالم الذي يطمح في حياة الاستقرار والخير يمثل منزلة الوزير المخلص، ينبذ الشر والاشرار من أجل توفير الأمن والاستقرار للرعية. يظهر في "باب الأسد والثور" بمثل السمكات الثلاث.

- **الأرنب**: يرمز إلى التفوق على الحيوانات الضخمة، رغم صغر حجمه بفضل ذكائه وقوته العقلية.

- **الجمل**: يرمز إلى الضحية المغلوب على أمره – الطبقة الضعيفة- من قبل الأقوياء- الطبقة البرجوازية الحاكمة- فسرعان ما يلقى حتفه. يتجلى في "باب الأسد والثور" بمثل الذئب والغراب وابن آوى مع الجمل و الأسد.

3-خ-3- **نسق الطيور**: تظهر بمشاهد و رموز متعددة تمثل الطبيعة البشرية منها الحمام والبطة، البرغوث، القملة، مالك الحزين...الخ

- **الحمام**: الحمام يرمز إلى نموذج بشري يُعني في سلوكه الاجتماعي لغريزة الأمومة وحفظ النسل والاستقرار والبساطة والغباء لا للعقل. كما أنه رمز للسلام والحكمة والإيثار. ويتجسد في

" باب الحمامة ولثعلب ومالك الحزين" و "باب الحمامة المطوقة".

- **مالك الحزين**: يرمز إلى من يسدي النصيحة لغيره وينسي نفسه في صورة إنسان عاقل يمتلك حكمة، كما صور مشاهد التعاون والتكافل الاجتماعي المنشود بين بني البشر. وخير مثال على ذلك في "باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين" من خلال الحوار الذي دار بين الحمامة والثعلب ومالك الحزين في شأن أفراخها.

فبحركتها صورت الصراع الإنساني على السلطة لفرض النفوذ السياسي المتعجرف، في ظل عدم تكافؤ الفرص وصراع البقاء للقوى، وهذا ما يجري في الوقت الراهن.

فالأنساق الدلالية الرمزية تُعد شفرات دالة تُسهم في خلق حُبكة نص الأمثولة، وانسجامها و تشكيل رواء الإنسان الفكرية والفنية وتفعمه بالحيوية، أنها دعوة للمتلقي في إعادة إنتاج الأنساق الدلالية من خلال تأويل رموزها.

فأدب الأمثولة في كليلة ودمنة رصد للحيوانات كأبطال اهتمت بما ينشغل به الإنسان، خصوصاً من الناحية الأدبية وبهذا لها القدرة على إنتاج أنساق دلالية متعددة تعكس بالفعل قضاياه عبر جسر امتطته عن طريق الحيوان.

فحكايات كليلة ودمنة جُلها تندرج ضمن السرد القصصي الخرافي الرمزي، صورت صراعات الحياة مُبلورة بحكمة في ثوب أمثولة.

الخاتمة:

- أدب الأمثولة نموذج مصغر للعلاقات الإنسانية.
- القارئ بؤرة إنتاج الانساق الدلالية.
- الأنساق الدلالية يصنعها التراكم التاريخي والثقافي والفلسفي والسياسي ويؤولها المتلقي بكل مستوياته.
- الأنساق الدلالية يُنتجها المبدع والمتلقي معاً، ويفككها وفق رؤية ما بعد الحداثة.
- تكشف الأنساق وعي المرسل والمتلقي للأشياء وللأشخاص و للعالم.
- الأنساق الدلالية في كليلة ودمنة صورة للحاكم النموذجي في الدعوة للعدل والمشورة والمساواة، و معالجة المشاكل المهمشة من طرف السلطة المركزية لمظاهر الشر المتأصلة في النفس البشرية.
- تُعد الأنساق الدلالية دستور تهتدي به كل طبقات المجتمع العامة والخاصة، ومعقولية الوجود.
- تسعي الأنساق الدلالية إلى تأسيس قيم حضارية و ثقافة وعقلية متميزة.
- غاية الأنساق الدلالية أخلاقية تعليمية لأثبات هُويات المجتمعات بكل طبقاتها واتجاهاتها ومدعاة للأقناع والحوارية في الوقت الراهن.
- كليلة ومنة فضاء متنوع لكل الأنساق الدلالية الراهنة.
- الأنساق الدلالية في كليلة ودمنة نموذج مثالي للعالم الإنساني في ثوب خرافة تعكس كل صراعات الحياة و سلوكياتها وإيديولوجياتها.

الهوامش:

[1] علي بن محمد أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، (تح) أحمد أمين وأحمد الزين، ج1، المكتبة المصرية بيروت،(دط)،(دت)، ص143.

[2] سورة المائدة، الآية، 31.

3 أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، (تح) عبد السلام هارون، ج3، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، 1996،ص268.

4محمد بن موسي بن عيسى أبو البقاء الدميري، حياة الحيوان الكُبري،ج1، دار التراث العربي، بيروت، ط1، (دت)،ص11.

5 يُنظر، أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، (تح) عبد السلام هارون، ج6، ص116-117.

6 سورة ياسين،الآية،71-72-73.

7علي بن محمد أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، (تح) أحمد أمين وأحمد الزين، ج1، ص143.

[8] أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، (تح) عبد السلام هارون، ج4، ص34.

[9] يُنظر، عبد الرزاق حميدة، قصص الحيوان في الأدب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (دط)، 1951،ص25-26.

[10] عبد الواحد التهامي العلمي، الحكاية المثلية نوعاً ادبياً –الرسالة والقضايا، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والأعلام، الشارقة، ع159، 1993، ص37.

[11] يُنظر، حاتم الصكر، الحكاية المنظومة نموذج السردي والشعري، آفاق عربية، دار الشؤون الثقافية العامة، (دط)، 1992،ص46.

[12] عبد الله خضر محمد، مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، 2017،ص440.

[13] لا لاند أندريه، موسوعة لا لاند الفلسفية، (تر) خليل أحمد خليل، أشراف علية أحمد عويدات، بيروت، باريس،ط1،(دت)،ص1388.

[14] يُنظر، عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004،ص26-27.

[15] عبد الحميد بورايو، إنتاجية النص دراسة في اركيولوجية الثقافة الجزائرية من خلال ثلاثة أنماط أدبية (الأسطورة، الملحمة، الرواية)، مجلة اللغة والأدب، دار الحكمة،ع12، أكتوبر 1997، ص93.

[16] ينظر، محمد صولة، كليلة ودمنة من مكر المعني إلى صناعة الخطاب ،.www.qabaqaosayn.com، 06/07/2020،22:30.

[17] يُنظر، سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعني، مكتبة الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط1، 2008، ص45-46.

[18] يُنظر، نجاة عرب الشعبة، البنية السردية ودلالتها في كليلة ودمنة، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة باجي مختار، عنابة، 2001/2000، ص39.

[19] عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة،(تح)محمد امين فرشوخ ،دارا العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط1، 2013،ص94.

[20] المصدر نفسه، ص81-82.

[21] المصدر نفسه، ص147.

[22] يُنظر، محمد صولة، كليلة ودمنة من مكر المعني إلى صناعة الخطاب،.www.qabaqaosayn.com، 10/07/2020،11:00.

[23] يُنظر، عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، ص84.

[24] المصدر نفسه، ص134.

[25] ينظر، ضياء الكعبي، السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 2005،ص23.

[26] عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، ص91.

[27] ينظر، عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2010،ص79.

[28] عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، ص199-200.

[29] يُنظر، ألف ليلة وليلة(حكاية الثعالب)، ج2، (تح) محسن مهدي، ط1، 1984،ص462.

[30] أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، (تح) عبد السلام هارون، ج6،ص 125.

[31] حنا الفاخوري، الموجز في الادب العربي وتاريخه، مج2، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص198.

[32] عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، ص63.

[*] بازا: طائر أسود صغير الحجم له ارجل قصيرة وأقدام ومخالب قوية وقمة بارزة تعد ميزة له، يوجد في غابات جبال الهيمالايا الشرقية و والصين وجنوب شرق آسيا.

[33] ألف ليلة وليلة، ج2، ص43.

[34] سورة النور، الآية41.

[35] يُنظر، جمال بن دحمان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب والانسجام، دار رؤية، القاهرة، مصر، (دط)،2011،ص56.

[36] عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، ص76-77.

[37] رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا(المقدمة)، ص16.

[38] عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، ص124- 125.

[39] محمد غنيمي هلال ،الأدب المقارن،مصرللطباعةوالنشر،ط3،(دت)،ص148.

[40] يُنظر، عمرو عيلان، الأيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، ط1، 2001، ص79.

[41]- خولة شخاترة: بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2006، ص115.

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1-ألف ليلة وليلة(حكاية الثعالب)، ج2، (تح) محسن مهدي، ط1، 1984.

2-جمال بن دحمان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب والانسجام، دار رؤية، القاهرة، مصر، (دط)،2011.

3-حاتم الصكر، الحكاية المنظومة نموذج السردي والشعري، آفاق عربية، دار الشؤون الثقافية العامة، (دط)، 1992.
4-حنا الفاخوري، الموجز في الادب العربي وتاريخه، مج2، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
5-خولة شخاترة: بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2006.
6-رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا(المقدمة).
7-سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعني، مكتبة الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط1، 2008.
8-عبد الحميد بورايو، إنتاجية النص دراسة في اركيولوجية الثقافة الجزائرية من خلال ثلاثة أنماط أدبية (الأسطورة، الملحمة، الرواية)، مجلة اللغة والأدب، دار الحكمة،ع12، أكتوبر 1997.
9-عبد الرزاق حميدة، قصص الحيوان في الأدب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (دط)، 1951.
10-عبد الواحد التهامي العلمي، الحكاية المثلية نوعاً ادبياً –الرسالة والقضايا، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والأعلام، الشارقة، ع159، 1993.
11-عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة،(تح)محمد امين فرشوخ ،دارا العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط1، 2013.
12-عبد الله خضر محمد، مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، 2017.
13-عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2010.
14-عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004.
15-أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، (تح) عبد السلام هارون، ج3، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، 1996.
16-علي بن محمد أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، (تح) أحمد أمين وأحمد الزين، ج1، المكتبة المصرية بيروت،(دط)،(دت).
17-عمرو عيلان، الأيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، ط1، 2001.
18-ضياء الكعبي، السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 2005.
19-لا لاند أندريه، موسوعة لا لاند الفلسفية، (تر) خليل أحمد خليل، أشراف علية أحمد عويدات، بيروت، باريس،ط1،(دت).
20-محمد بن موسي بن عيسى أبو البقاء الدميري، حياة الحيوان الكُبري،ج1، دار التراث العربي، بيروت، ط1، (دت).
21-محمد غنيمي هلال ،الأدب المقارن،مصرللطباعةوالنشر،ط3،(دت).
22-محمد صولة، كليلة ودمنة من مكر المعني إلى صناعة الخطاب،.www.qabaqaosayn.com.22.
23-نجاة عرب الشعبة، البنية السردية ودلالتها في كليلة ودمنة، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة باجي مختار، عنابة، 2001/2000.